الأبعادُ النفسية في روايات إرهاصاتِ الوحي والنبوةِ منْ خلالِ تفسيرِ السمرقندي

The Psychological Dimensions in the Narratives of the Signs Preceding Revelation and Prophethood through the Interpretation of Al-Samarqandi

د. غازي ابراهيم الشاهر*
Dr. Ghazi Ibrahim Abdulmajid Al-Shaher
د. عبدالله يوسف نافع الهاشمي*
Dr. ABDULLAH YOUSIF NAFEA AL HASHIMI

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى استكشاف وتحليل الأبعاد النفسية لإرهاصات الوحي والنبوة من خلال تفسير السمرقندي، الذي يُعدّ مصدرًا رئيسيًا يقدم فهمًا معمقًا لهذه الظاهرة الفريدة, كما يُركّز البحث على الجانب النفسي لتجربة الوحي التي عاشها النبي محمد ﷺ، مسلطًا الضوء على التجارب الروحية التي سبقت نزول الوحي، مثل الأحلام والرؤى، وكيف هيأت هذه الإرهاصات النفسية النبي الكريم لتلقي الرسالة الإلهية, ويهدف البحث إلى تقديم رؤية متعمقة لهذه التجربة من خلال دراسة الروايات والأحداث التي أوردها السمرقندي وتحليل أبعادها النفسية, وتنبع أهمية الموضوع من كونه يسد فجوة بحثية في الدراسات الإسلامية، حيث يتناول جانبًا نادرًا ما يُطرق في تحليل الوحي والنبوة، وهو البعد النفسي الذي يبرز البُعد الإنساني للتجربة النبوية.

الكلمات المفتاحية: الأبعاد النفسية – إرهاصات الوحي – تفسير السمرقندي.

* ديوان الوقف السني – دائرة المؤسسات.

* ديوان الوقف السني– دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية.

Abstract:

This research aims to explore and analyze the psychological dimensions of the precursors to revelation and prophethood as presented in Al-Samarqandi's interpretation, which serves as a principal source providing a profound understanding of this unique phenomenon. The study focuses on the psychological aspects of the experience of revelation lived by Prophet Muhammad (PBUH), shedding light on the spiritual experiences that preceded the revelation, such as dreams and visions, and examining how these psychological precursors prepared the Prophet to receive the divine message .

The research seeks to offer an in-depth perspective on this experience by studying and analyzing the narratives and events documented by Al-Samarqandi. The significance of the topic lies in addressing a research gap within Islamic studies, as it delves into a rarely explored dimension of analyzing revelation and prophethood—the psychological aspect-which highlights the human dimension of the prophetic experience.

Keywords: Psychological Dimensions - Precursors to Revelation - Al-Samarqandi's Interpretation.

المقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونصلي ونسلم على أكرم الخلق نبينا محمد ﷺ.

أما بعد:

إن الإنسان منذ القدم وجد نفسه محاطًا بالألغاز والغموض المتعلقة بالحياة والوجود، مما دفعه للبحث عن الجواب عبر مختلف الطرق والمناهج, ومن بين هذه الأسئلة التي شغلت تفكير البشرية على مر العصور هي تلك المتعلقة بالوحي والنبوة، والتي تعد من أهم المفاهيم التي ترتبط بالعقيدة, وفي هذا السياق يأتي تفسير السمرقندي كمصدر مهم يقدم فهمًا عميقًا ومعمّقًا لإرهاصات الوحي والنبوة, ويسعى هذا البحث إلى استكشاف وتحليل هذه الأبعاد النفسية التي يطرحها السمرقندي في تفسيره، وسيتم ذلك من خلال دراسة عميقة لمرويات الإرهاصات وبداية نزول الوحي وأبعادها النفسية.

إن موضوع الأبعاد النفسية لإرهاصات الوحي والنبوة يتجاوز حدود المعرفة التقليدية، لأنه رحلة في أعماق الروح والنفس، تلك التي شهدها النبي الكريم في مقدمة الوحي الإلهي.

أهمية الموضوع:

يكتسب هذا الموضوع أهميته من كونه يتطرق إلى جانب غير مألوف في الدراسات الإسلامية، وهو الجانب النفسي الذي يُعد مفتاحًا لفهم الحالة البشرية للنبي صلى الله عليه وسلم وكيفية استقباله للوحي الإلهي.

أهداف البحث:

١. استكشاف الأبعاد النفسية في إرهاصات النبوة والوحي.

٢. تحليل تفسير السمرقندي لهذه الأبعاد.

٣. تقديم فهم أعمق للتجربة النبوية من خلال النظرة النفسية.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت هذا الموضوع لما يمثله من تحدٍ في فهم الجوانب النفسية لأعظم تجربة روحية في البشرية، ولما لتفسير السمرقندي من دور في تقديم رؤية معمقة لهذه التجربة.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في قلة الدراسات التي تناولت الجانب النفسي لإرهاصات النبوة والوحي بشكل مفصل، وخاصةً في ضوء تفسير السمرقندي، مما يجعل من الضروري تسليط الضوء على هذا الجانب الهام.

المبحث الأول: المبحث المفاهيمي:

المطلب الأول: السيرة الذاتية للسمرقندي:

أولاً: اسمه ونسبه:

في الكتب التي ترجمت لأبي الليث السمرقندي اختلاف في اسمه, إذ وردتْ على النحو الآتي:

- قال ابن قطلوبغا هو: " نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم".[١]
- قال الذهبي: " نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي".[١]

[١] أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني الجمالي الحنفي المتوفى: ٨٧٩هـ, **تاج التراجم**, ص: ٣١٠.

- قال محيي الدين الحنفي: "نصر بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن إِبْرَاهِيم".[٢]
- قال حاجي خليفة: "نصر بن محمد بن إبراهيم".[٣]
- قال الأدنه وي في طبقات المفسرين: "نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم".[٤]
- قال عبد الحي الكتاني: "نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم".[٥]
- قال الزركلي: "نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم".[٦]
- قال عادل نويهض: "نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم".[٧]
- قال عمر رضا كحالة: "نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم".[٨]

مما تقدم نلاحظ أن أهل التراجم قد اتفقوا على اسم السمرقندي واسم أبيه, ولكنهم اختلفوا في اسم جده.

ثانياً: ولادته:

لم تذكر جميع كتب التراجم التي ترجمت للإمام السمرقندي تاريخ ميلاد له, ولكن ولادته يمكن أن يقال عنها بأنها كانت في بداية القرن الرابع الهجري.

---

[١] الذهبي, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي المتوفى: ٧٤٨هـ, **سير أعلام النبلاء**, ١٦/ ٣٢٢.

[٢] محيي الدين الحنفي, عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية,** ج٢ ص ١٩٦.

[٣] حاجي خليفة, **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**, ج٢ ص ١٩٨١.

[٤] الأدنه وي, حمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر المتوفى: ق ١١هـ, **طبقات المفسرين**, ص: ٩١.

[٥] عبد الحي الكتاني, محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المتوفى: ١٣٨٢هـ, **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات,** ج٢ ص ٩٩٨.

[٦] الزركلي, خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي المتوفى: ١٣٩٦هـ, **الأعلام**, ج٨ ص ٢٧.

[٧] نويهض, عادل, **معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»**, ج٢ ص ٧٠٠.

[٨] كحالة, عمر رضا, **معجم المؤلفين,** ١٣/ ٩١.

ثالثاً: ألقابه:

ذكرت التراجم عدة ألقاب للإمام السمرقندي , أبرزها: إمام الهدى.[١]

كما لقب أيضاً بـ: الفقيه الحنفي, المحدث, الإمام, الزاهد.[٢]

رابعاً: كنيته:

كل المصادر أجمعت على أن كنيته هي: "أبو الليث".[٣]

خامساً: وفاته:

اختلفت المصادر في تحديد وفاة الإمام السمرقندي على ما يأتي:

- ذكر الذهبي أن وفاته عام: (٣٧٥هـ),[٤] وهو قول حاجي خليفة,[٥] وذكره الداوودي نقلاً عن الصفدي.[٦]
- ذكر ابن قطلوبغا أنها في (٣٧٣هـ),[٧] وهو قول أبي الوفا القرشي,[٨] والزركلي.[٩]
- ذكر الأدنه وي أنها في (٣٩٣هـ).[١٠]

---

[١] ابن قطلوبغا, **تاج التراجم**, ص: ٣١٠.

[٢] ينظر: محيي الدين الحنفي, عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، المتوفى: ٧٧٥هـ, **الجواهر المضية المضية في طبقات الحنفية**, ج٢ ص ١٩٦, حاجي خليفة, **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ج٢ ص ١٩٨١, والأدنه وي, **طبقات المفسرين**, ص: ٩١.

[٣] ينظر: ابن قطلوبغا, **تاج التراجم**, ص: ٣١٠, الذهبي, **سير أعلام النبلاء**, ١٦/ ٣٢٣.

[٤] ينظر: الذهبي, **سير أعلام النبلاء**, ١٦/ ٣٢٣, والأدنه وي, **طبقات المفسرين**, ص: ٩١.

[٥] ينظر: حاجي خليفة, **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**, ج٢ ص ١٩٨١.

[٦] ينظر: الداوودي, محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي المتوفى: ٩٤٥هـ **طبقات المفسرين**, مقدمة/ ٣.

[٧] ينظر: ابن قطلوبغا, **تاج التراجم:** ص: ٣١٠.

[٨] ينظر: محيي الدين الحنفي، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**, ج٢ ص ١٩٦.

[٩] ينظر: الزركلي, **الأعلام**, ج٨ ص ٢٧.

[١٠] ينظر: الأدنه وي, **طبقات المفسرين**, ص: ٩١.

المطلب الثاني: السيرة العلمية:

أولاً: شيوخه:

تفقه الإمام السمرقندي على العديد من العلماء والشيوخ وقد ذكرت التراجم بعضاً من شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم, قال ابن قطلوبغا: "تفقه أبو الليث على أبي جعفر الهندواني".[١]

قال الداوودي: "تفقه على أبي جعفر الهندواني، وهو الإمام الكبير صاحب الأقوال المفيدة".[٢]

وقال الذهبي: "يروي عن: محمد بن الفضل بن أنيف البخاري وجماعة".[٣]

ثانياً: تلاميذه:

لا بد لإمام كأبي الليث السمرقندي أن يكون له تلاميذ, خاصة إذا عرف أنه لازم التدريس وعمل فيه, وقد ذكرت كتب التراجم بعضاً من تلاميذه, قال الذهبي: "روى عنه: أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الترمذي، وغيره".[٤]

وفي الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة: "من تلامذته: أبو بكر محمّد بن عبد الرحمن الترمذي، ومحمد بن عبد الرحمن الزيدي وغيرهما".[٥]

المبحث الثاني: الأبعاد النفسية لإرهاصات الوحي والنبوة:

تُعدُّ الأبعاد النفسية لإرهاصات الوحي والنبوة من الموضوعات العميقة والمعقدة، إذ يُنظر إلى الوحي على أنه تجربة روحية فريدة تختص بها الأنبياء، وتتجاوز الإدراكات العادية التي يحصل عليها الإنسان عن طريق الحواس أو العقل.

إن الأبعاد النفسية لإرهاصات الوحي تشير إلى التجارب الروحية التي سبقت نزول الوحي على الأنبياء، وبالأخص النبي محمد ﷺ هذه الأبعاد تشمل الأحلام الصادقة، والرؤى، والتجارب الروحية التي تنبئ بمقدم النبوة والرسالة.

---

[١] ابن قطلوبغا, **تاج التراجم,** ص: ٣١٠.

[٢] الداوودي, **طبقات المفسرين,** ج٢ ص ٣٤٦.

[٣] الذهبي, **سير أعلام النبلاء**, ١٦/ ٣٢٢.

[٤] الذهبي, **سير أعلام النبلاء**, ١٦/ ٣٢٢.

[٥] وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وإياد بن عبد اللطيف القيسي، ومصطفى بن قحطان الحبيب، وبشير بن جواد القيسي، وعماد بن محمد البغدادي, **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»**, ج٣ ص ٢٧٦٠.

وقد وردت العديد من الإرهاصات المؤذنة ببعثة النبي ﷺ إلى الناس بشيراً ونذيراً, مبلغاً ما أنزل عليه من ربه للناس جميعاً, ومن هذه الإرهاصات ما رواه ابن إسحاق في ضمن ما أخبر به اليهود برسول الله ﷺ أن يهوديًا كان من جيران بني عبد الأشهل من الأنصار حدثهم عن البعث والجزاء فاستنكروا ذلك، وطالبوه بآية عليه، فقال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد، وأشار بيديه جهة مكة واليمن، فقالوا: ومتى تراه؟ فنظر إلى سلمة بن سلامة بن وقش[1] وكان أحدثهم سناً، فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه، فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدًا ﷺ.[2]

فالرواية المذكورة تسلط الضوء على الأبعاد النفسية من خلال عدة نقاط محورية:

❖ تشير الرواية إلى التوقع الروحي والترقب الذي كان يعيشه بعض الناس قبل بعثة النبي محمد ﷺ, وهذا التوقع ليس مجرد انتظار عادي، بل هو شعور نفسي عميق ينبع من إيمان داخلي وتصديق بقدوم نبي، وهو ما يعكس حالة نفسية وروحية مميزة.

❖ الإشارة إلى النبي المبعوث من هذه البلاد واستدلال اليهودي على ذلك بالرغم من عدم وجود دليل مادي في ذلك الوقت، يعكس إيمانا بالغيب مبني على منحى روحي ومعرفة متجذرة في النصوص الدينية السابقة, وهذا الإيمان بالغيب يُظهر بعداً نفسياً يتجاوز الحقائق الحسية الملموسة.

---

[1] هو: سلمة بن سلامة بن وقش, صحابي، من الأنصار من بني عبد الأشهل، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية. شهد سلمة مع النبي محمد ع كلها. وقيل أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب استعمله على اليمامة. توفي سلمة بن سلامة بن وقش سنة ٤٥ هـ، وعمره ٧٠ سنة، ودفن في المدينة المنورة، وقيل توفي سنة ٣٤ هـ. ينظر: ابن حجر, العسقلاني المتوفى: ٨٥٢هـ, **الإصابة في تمييز الصحابة**, ج٢ ص ٤٨. الذهبي, شمس الدين, المتوفى: ٧٤٨هـ, **سير أعلام النبلاء**, ج٢ ص ٣٥٥. وقد تطرق السمرقندي لذكره عند تفسير قوله تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [سورة التوبة: ٢٥], وذلك أن رسول الله ﷺ حين خرج إلى حنين في إثني عشر ألفاً وعشرة آلاف خرجوا معه من المدينة إلى فتح مكة وخرج معه ألفان من أهل مكة فقال رجل من المسلمين يقال له **سلمة بن سلامة:** "لن نغلب اليوم من قلة..". السمرقندي, **بحر العلوم**, ج٢ ص ٤٨.

[2] ينظر: السمرقندي, **بحر العلوم**, ج٢ ص ٤٨. ابن هشام, **السيرة النبوية**, ج١ ص ٢٧٠, وسنده حسن، حيث صرح ابن اسحاق بالتحديث، وقد رواه غير واحد من طريقه، مثل: أحمد ج٣ ص ٤٦٧، والهيثمي, أبو بكر , **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**, ج٨ ص ٢٣٠، والبيهقي, **دلائل النبوة** ج٢ ص ٧٨ – ٧٩، وقد صحح الخبر كل هؤلاء.

❖ الحوار الذي جرى بين اليهودي وجيران بني عبد الأشهل يكشف عن أبعاد نفسية في التواصل الروحي بين الأفراد, فالحديث عن النبي الموعود والإشارة إلى الأماكن (مكة واليمن) كان لها وقع نفسي خاص على المستمعين، خاصة عند النظر إلى أصغرهم سناً والتنبؤ بمستقبله.

❖ تحديد الزمن الذي يظهر فيه النبي ﷺ يشير إلى بُعد نفسي يتعلق بالإحساس بالوقت, فالانتظار الذي يعيشه المؤمنون بقدوم النبي ﷺ ليس مجرد حساب للزمن، بل هو شعور نفسيي يملأ حياتهم اليومية بالإيمان والترقب الروحي.

إن هذه الأبعاد النفسية في الرواية تعكس التجارب الروحية العميقة التي عاشها الأفراد قبل بعثة النبي محمد ﷺ، وتبين كيف أن الإيمان بالغيب والتوقع الروحي يمكن أن يشكلا تجربة نفسية عميقة تتجاوز حدود الإدراك العقلي والحسي.

وقد ذكر أيضًا ابن اسحاق في السيرة أنها كانت من أسباب إسلام "ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد" من يهود بني هدل، إخوة بني قريظة، وذلك عندما حاصر رسول الله ﷺ بني قريظة في غزوة الأحزاب عندما غدروا بالنبي ﷺ والمسلمين، حتى كادت أن تستباح المدينة المنورة، ويقضوا على الدعوة وصاحبها، وها هي ذي الرواية، يقول ابن اسحاق بسنده عن شيخ من بني قريظة: قدم علينا رجل من يهود أهل الشام يقال له ابن الهيّبان، وذلك قبيل الإسلام بسنين، فحل بين أظهرهم، فما رأينا رجلاً لا يصلي الخمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهيّبان فاستق لنا، فيقول لا والله، حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة، فنقول له: كم؟ فيقول: صاعًا من تمر، أو مدين من شعير، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا، فيستقي الله لنا، فوالله ما يبرح مجلسه، حتى يَمُرَّ السحابُ ونسقي، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث، قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميّت، قال: أيا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: إنك أعلم، قال: فإني قدمت هذه البلدة أتوكَّف خروج نبي قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجَرُه، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء، وسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قريظة، قال هؤلاء الفتية، وكانوا شبابًا أحداثًا: يا بني قريظة، والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيِّبان، قالوا: ليس به، قالوا: بلى والله، إنه لهو بصفته، فنزلوا فأسلموا، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم.[1]

إن الرواية التي أوردها ابن إسحاق تكشف عن أبعاد نفسية عديدة تتعلق بالاستجابة البشرية للحقائق الروحية والتاريخية، ودوافع الإيمان أو الكفر عند مواجهة الواقع الذي طالما تم التنبؤ به, ففي القصة يظهر التفاعل النفسي لثلاثة أبعاد رئيسة: أثر الشخصية المؤمنة، دور العلامات النبوية، وقوة الشباب في اتخاذ قرارات مصيرية, وذلك من خلال ما يأتي:

أولًا: ابن الهيبان يمثل شخصية كاريزمية تحمل أثرًا نفسيًا عميقًا في نفوس من حوله، إذ كان أنموذجًا للورع والصدق، مما أكسبه مكانة روحية بين يهود بني قريظة. هذا النوع من الشخصيات يترك تأثيرًا نفسيًا طويل الأمد، إذ يظل الناس يتذكرون سلوكياتهم وأقوالهم، ما يعزز في نفوسهم القابلية للاقتناع بما تنبأ به، خاصة عندما تتحقق تلك النبوءات, واستجابة الشباب اليهودي لهذه التنبؤات في الوقت المناسب تكشف عن قوة تأثير الذكريات والأحداث الموثوقة في تحفيز النفس على اتخاذ قرارات مصيرية.

ثانيًا: التوقيت الذي اختاره ابن الهيبان للحديث عن النبي ﷺ المنتظر قبل وفاته يعكس بُعدًا نفسيًا مرتبطًا بالوصية والرسائل الأخيرة، والتي غالبًا ما تحمل وزنًا كبيرًا في النفوس، إذ تكون صادرة عن شخص يعتقد بأنه ينقل حقائق خالدة قبل رحيله, فعندما تحدث عن النبي ﷺ، أضاف مستوى من الإقناع النفسي لأن كلماته ارتبطت بالصدق والنقاء الذي اشتهر به طوال حياته, وهذا العامل أثّر في الفتية اليهود عندما وجدوا أوصاف النبي ﷺ مطابقة للواقع.

ثالثًا: يُظهِرُ الفتية الثلاثة بعدًا نفسيًا مميزًا متعلقًا بالشباب، وهو الجرأة والاستقلالية في التفكير, وفي وقت واجه فيه بنو قريظة أزمةً وجوديةً تحت الحصار، تمكن هؤلاء الشباب من تجاوز الضغوط الجماعية والخوف، واستدعاء النبوءة التي تركها ابن الهيبان في أذهانهم, وهذا يدل على القوة

[1] ابن هشام, **السيرة النبوية** ج١ ص ١٣٧ – ١٣٨، ونسب المحققان صحة الحديث للشيخ الألباني, **صحيح السيرة**, ص: ٦١، وكذا ذكره الطرهوني, **السيرة الذهبية**, ج١ ص ٢٣٩ – ٢٤٠, وصححه وذكره د. مهدي رزق, **السيرة النبوية**, ص: ١٤٢، وذكر في هامشه ما يقوي الحديث ويجعله محتجًا به.

النفسية للشباب في التغلب على التقاليد والتصدي للجماعات إذا ما شعروا بأنهم أمام حقيقة واضحة, فقرارهم بالإسلام يمثل استجابة لنداء داخلي نحو النجاة الروحية والجسدية في وقتٍ حرج.

علاوة على ذلك، يظهر صراع نفسي بين القيادات اليهودية الرافضة للنبي ﷺ وهؤلاء الشباب الذين رأوا بوضوح الحقيقة التي حجبها التعصب والخوف لدى الآخرين, وهذا الصراع بين الإيمان والكفر، وبين الجماعة والفرد، يمثل بُعدًا نفسيًا أساسيًا في فهم سلوكيات البشر عند مواجهة حقائق تتحدى الموروث الثقافي والديني.

في المجمل، تسلط الرواية الضوء على أبعاد نفسية مثل تأثير الشخصيات الكاريزمية، قيمة الرسائل النبوئية والوصايا، وقوة الشباب في اتخاذ القرارات الصائبة رغم الضغوط الاجتماعية. هذه الأبعاد تجعل القصة مثالًا غنيًا لفهم النفس البشرية في مواقف التحول والإيمان.

ومن أمارات ذلك أيضاً, قصة هرقل ملك الروم، والتي رواها البخاري ومسلم وغيرهما، إذ أرسل الرسول ﷺ كتابًا مع دحية الكلبي[1] ﷺ إلى قيصر الروم يدعوه إلى الإسلام، فلما قرأ رسالة النبي ﷺ بحث عمن يعرفه، فدعاهم لمجلسه مع الترجمان فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يدعي أنه نبي؟ فقال له أبو سفيان: أنا أقربهم نسبًا، فأدناه وقرب أصحابه منه لئلا يستحيوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب، فأخذ يسأله عن صفات النبي ﷺ وأحواله، كما ورد في الحديث الطويل المشهور، ومنها علم أنه النبي المرسل ﷺ فقال في ختام كلامه لأبي سفيان: إن كان ما

[1] هو: دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي, ولد نحو عام ٣٠ ق.هـ, وهو صحابي مشهور، من السابقين الأولين إلى الإسلام. شهد مع رسول الله ﷺ غزوة أحد وما تلاها من غزوات الرسول محمدﷺ. وكان تاجرًا غنيًا، ويضرب به المثل في حسن الصورة. بعثه الرسول محمد برسالته إلى القيصر هرقل إمبراطور الإمبراطورية الرومانية يدعوه إلى الإسلام. وحضر كثيرًا من الوقائع في فتوح الشام، وشهد معركة اليرموك فكان على كردوس. وشارك في فتح دمشق، وبعثه يزيد بن أبي سفيان إلى تدمر، فصالح أهلها على صلح دمشق. وتولى إمرة تدمر، ثم نزل دمشق، ووفد سنة ٤٠ هـ الكوفة على الخليفة علي بن أبي طالب، وسكن المزة وتوفي ودُفن بها في خلافة معاوية بن أبي سفيان عام ٥٠هـ. ينظر: ابن سعد, **الطبقات الكبرى**, ج٤ ص ١٨٨. والذهبي, **سير أعلام النبلاء**, ج٢ ص ٥٥٠, وابن حجر, **الإصابة في تمييز الصحابة**, ج٢ ص ٣٢١.

تقول حقًا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه".[1]

وقد ذكر السمرقندي في مطلع تفسير سورة الروم, الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ إلى ملك الروم، والذي دعاه فيه إلى الإسلام، فقرأ كتابه، وقبله ووضعه على عينيه، وختمه بخاتمه، ثم أوثقه على صدره، ثم كتب جواب كتابه: إنا نشهد أنك نبي ولكنا لا نستطيع أن نترك الدين القديم الذي اصطفى الله لعيسى، فعجب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «قد ثبت الله ملكهم إلى يوم القيامة إلى أدنى الأرض منها بفتح الله عز وجل على المسلمين» .[2]

تتناول هذه الروايات موقف هرقل ملك الروم من رسالة النبي ﷺ, والتي تمثل أنموذجًا نفسيًا عميقًا يعكس صراعات داخلية وإنسانية متعددة, فهرقل، بوصفه ملكًا وقائدًا، كان في موقف مليء بالتحديات النفسية، إذ وجد نفسه أمام حقيقة جديدة تحمل معها احتمالات عميقة لتغيير قناعاته, فسلوكه في دعوة أبي سفيان ومواجهته بالأسئلة الدقيقة يعكس حاجته النفسية لفهم الحقيقة والاقتراب منها بعقلانية، وهو ما يعبر عن رغبة الإنسان الطبيعية في البحث عن المعرفة عند مواجهة مواقف غير مألوفة.

كما أن قبوله للرسالة، وتقبيله لها، ووضعها على صدره يكشف عن مشاعر الاحترام والإعجاب تجاه النبي ﷺ، وهي انعكاس لرغبة خفية في التقدير لشيء يدرك عظمته وإن كان يصعب عليه الاعتراف به علنًا. ومع ذلك، يظهر التردد الواضح في رسالته للنبي ﷺ، إذ عبّر عن إيمانه بنبوة محمد ﷺ لكنه أظهر عجزًا عن ترك دينه الموروث، مما يعكس صراعًا نفسيًا شائعًا بين قناعة القلب وضغوط المجتمع والسياسة, وهذا الصراع يتجسد في التمسك بالماضي وعدم القدرة على مواجهة التغيير، وهي حالة نفسية شائعة عند الشعور بالخطر على الهوية.

كما أن موقف النبي ﷺ حين قال إن الله قد ثبت ملكهم إلى يوم القيامة يحمل بُعدًا نفسيًا من الثقة المطلقة بالقضاء والقدر، مما ينعكس في حالة من الطمأنينة لدى المؤمن عند مواجهة مواقف كهذه,

---

[1] البخاري, **الصحيح**, ج١ ص ٦, ومسلم, بدء الوحي، **الصحيح**, كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل, ج٣ ص ١٣٩٥.

[2] السمرقندي, **بحر العلوم**, ج٣ ص٣.

كما يعكس تعاطي هرقل مع الرسالة صراع الإنسان مع ذاته بين ما يدركه عقله وما يفرضه واقعه، وهو صراع يُجسّد التناقض الإنساني بين الإيمان الداخلي والسلوك الظاهري, فهذه الرواية إذن تمثل دراسة غنية للأبعاد النفسية المتعلقة بالمواقف المصيرية والتحولات الفكرية الكبرى.

ومن هذه الروايات أيضًا, إسلام ورقة بن نوفل، فقد جاء في مسند أحمد، عن الرسول ﷺ ما يثبت أن ورقة من المسلمين الأوائل, إذ يقول: «قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض»[١]**، وفي رواية أخرى: «قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس»،**[٢] **وقال ﷺ: «لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين»**[٣] **وقال: «يبعث يوم القيامة أُمَّة وحده».**[٤]

تحمل هذه الروايات المتعلقة بورقة بن نوفل أبعادًا نفسية عميقة تعكس طبيعة النفس البشرية في البحث عن الحق، والإيمان المبكر، وحالة التقدير التي تظهرها القيادة النبوية تجاه الأشخاص الذين كان لهم دور أو موقف إيجابي في مراحل الدعوة الأولى.

فورقة بن نوفل، برغم قلة ذكره في الروايات مقارنة بأسماء أخرى في الإسلام المبكر، يمثل شخصية مؤثرة تعكس أبعادًا نفسية متشابكة, فكان ورقة يبحث عن الحق منذ وقت مبكر، إذ تخلّى عن معتقدات قومه الوثنية واعتنق النصرانية في فترة ما قبل البعثة، مما يدل على ميله الفطري للبحث عن الحقيقة وتقصي الحقائق بعيدًا عن التقاليد الاجتماعية والدينية السائدة, وهذا البحث عن الحق يعكس بُعدًا نفسيًا للانفتاح الفكري، والذي غالبًا ما يتطلب شجاعة نفسية لمواجهة العزلة أو الرفض الاجتماعي.

كما تشير الروايات إلى رؤى النبي ﷺ بورقة بن نوفل في الجنة، مرتديًا ثيابًا بيضاء أو سندسًا، تعكس بعدًا نفسيًا آخر متعلقًا بالتقدير والاطمئنان, فارتداء الثياب البيضاء في الثقافة الإسلامية

---

[١] الساعاتي, أحمد بن عبد الرحمن البنا, **الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني مع بلوغ الأماني في أسرار الفتح الرباني**, ج٢٠ ص١٧٤, وحسّن الساعاتي إسناده.

[٢] ابن كثير, **البداية والنهاية**, ج٣ ص ١٠, عن أبي يعلى وحسنه.

[٣] رواه البزار من طريق عائشة رضي الله عنها وقال ابن كثير عن إسناده: وهذا جيد الإسناد، وأخرجه الحاكم, **المستدرك**, ج٢ ص ٤٠٩ من حديث عائشة رضي الله عنها وصححه ووافقه الذهبي.

[٤] الطبراني, **مجمع الزوائد**, ج٩ ص٤١٦, وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، وينظر: د. مهدي رزق, **السيرة النبوية**, ص١٥٩.

يشير إلى الطهارة والنقاء، مما يعزز صورة ورقة كشخصية صالحة ومستقيمة, وهذا التقدير النبوي يبرز بعدًا نفسيًا قياديًا يتمثل في تقدير الجهود السابقة، حتى لو كانت هذه الجهود قد توقفت قبل اكتمال المهمة (إذ توفي ورقة قبل ظهور الإسلام كدين شامل), وهذا التقدير يعكس أهمية تعزيز شعور الانتماء والتكريم النفسي للأفراد الذين سعوا نحو الحق.

كما إن إشارة النبي ﷺ إلى أن ورقة "يبعث يوم القيامة أمة وحده" تحمل دلالة نفسية عميقة أخرى تتعلق بقيمة الفرد وأثره، حتى وإن لم يكن محاطًا بجماعة أو تيار. هذا التقدير يعكس رؤية إسلامية شاملة ترى في الفردية المتفردة قوة وعطاءً يستحق الإشادة. من الناحية النفسية، تعزز هذه الفكرة ثقة الفرد في جهوده الخاصة وتقدير تأثيرها حتى وإن لم يلقَ الدعم الكافي.

ومن هذه المشاهد أيضًا إسلام النجاشي ملك الحبشة، وهو غير النجاشي الذي أرسل إليه رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وقد أسلم هذا الملك بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة وإحساس قريش بالخطر من الأمان الذي أعطاه النجاشي للمسلمين, إذ أقاموا مع خير جار في خير دار – كما تقول السيدة أم سلمة [1] رضي الله عنها والرواية الصحيحة تذكر أن القسيسين والرهبان الذين حضروا مجلس النجاشي وسمعوا القرآن انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فأنزل الله تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } [المائدة: ٨٢، ٨٣],[2] ولا شك أن مثل هذا الذي اجتمع عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، والروايات الإخبارية لا يعدل عنه إذ لا يتطرق إليه ريب في صحته ولا تردد. وإلا تركنا الاحتجاج بكل أخبار هذا العالم.

[1] ابن إسحاق، **السير والمغازي**, ص: ٢١٣ – ٢١٧، ابن هشام، **السيرة النبوية**, ج١ ص ٢١٧ – ٢١٩ بإسناد حسن إلى أم سلمة رضي الله عنها، وقد حسن إسناد الحديث الحافظ بن كثير، **السيرة النبوية**, ج٢ ص ١١، ابن حجر, **فتح الباري شرح صحيح البخاري**, ج٧ ص ١٨٩.

[2] ينظر: الطبري, **جامع البيان في تأويل القرآن**, ج١٠ ص ٤٩٩.

ويدل هذا الخبر بطوله حيث ذكره ابن إسحاق وابن هشام وغيرهما من المفسرين وحفاظ السير على إسلام هذا الملك العادل، وقد صلى الرسول ﷺ صلاة الغائب (الجنازة) عندما جاءه خبر موته، وما كان ليصلي إلا على مسلم.[١]

وقد تطرق السمرقندي لهذه القصة عند تفسير قول تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [سورة المائدة: ٨٢], إذ قال: "وروى أسباط عن السدي قال بعث النجاشي إلى رسول الله ﷺ اثني عشر رجلا من الحبشة سبعة قسيسين وخمسة رهبان ينظرون إليه ويسألونه فلما لقوه وقرأ عليهم ما أنزل الله عليه بكوا وآمنوا به ورجعوا إلى النجاشي فهاجر النجاشي إلى رسول الله ﷺ معهم فمات في الطريق فصلى عليه رسول الله ﷺ والمسلمون واستغفروا له".[٢]

تُظهر قصة إسلام النجاشي ملك الحبشة أبعادًا نفسية عميقة تتعلق بالاستجابة الفطرية للحق، وتأثير العدالة والقيم الأخلاقية العالية في تقبل الحقيقة، حتى في ظل سياق ثقافي وديني مختلف, فالقصة تقدم دراسة نفسية لعدة محاور:

أولًا: الاستجابة العاطفية للحق: القسيسون والرهبان الذين انحدرت دموعهم عند سماع القرآن يمثلون حالة وجدانية عميقة، حيث أن النصوص القرآنية أثارت في نفوسهم مشاعر الاعتراف والتأثر. هذه الاستجابة العاطفية تنبع من تطابق النص مع الفطرة السليمة، مما يجعل التأثير النفسي للقرآن عابرًا للثقافات والمعتقدات. دموعهم ليست مجرد فعل عاطفي، بل تعبير عن تقبل داخلي للحق الذي شعروا به.

ثانيًا: عدالة النجاشي ودورها في الإيمان: شخصية النجاشي كملك عادل تظهر أن العدالة تُهيئ النفس لتقبل الحقيقة, فقراره بمنح المسلمين الأمان في بلاده يعكس عقلًا متزنًا وقلبًا رحيمًا، وهي صفات تجعل النفس أكثر انفتاحًا على القيم الأخلاقية العليا التي يتضمنها الإسلام. العدالة، باعتبارها قيمة إنسانية أساسية، كانت مدخلًا لتفاعله مع الإسلام وقبوله له.

---

[١] ابن القيم، **زاد المعاد**، ابن هشام، **السيرة النبوية**, ج١ ص٢٢٢، وقال المحقق إنه ثابت في الصحيح.

[٢] السمرقندي, **بحر العلوم**, ج١ ص ٤٣٤.

ثالثًا: التفاعل النفسي مع النصوص الدينية: تؤكد الآيات التي أُنزلت في حق هؤلاء القسيسين والرهبان أن النفس البشرية تتأثر بشكل عميق بالنصوص التي تتحدث إلى الفطرة, فوصفهم في القرآن الكريم بالإيمان والخشوع يشير إلى أن القوة النفسية للنص القرآني تنبع من صدقه وارتباطه بالحقائق الروحية التي تبحث عنها كل نفس.

رابعًا: الاعتراف بالحق وتجاوز الانتماءات الدينية: النجاشي، على الرغم من كونه مسيحيًا ومن بيئة دينية مختلفة، استطاع تجاوز التحيزات والانتماءات الدينية السابقة بسبب اقتناعه الداخلي برسالة الإسلام, وهذه القدرة على تجاوز الهوية الدينية السابقة تتطلب نفسًا متحررة من التعصب، وقادرة على الاعتراف بالحق مهما كان مصدره.

في المجمل، تمثل القصة دراسة نفسية غنية للكيفية التي يمكن بها للقيم العليا، مثل أن تفتح الطريق للإيمان, كما تُبرز التأثير العاطفي والروحي للنصوص القرآنية على النفس البشرية، وتؤكد أهمية العدالة في تمهيد النفس لتقبل الحقيقة.

من خلال النظر في هذه الأبعاد النفسية، يمكننا فهم التأثير العميق الذي يمكن أن تحدثه الرسائل الدينية على الأفراد والجماعات، وكيف يمكن للتفاعل الإيجابي بين الأديان أن يؤدي إلى تعزيز الفهم المتبادل والاحترام بين الشعوب, كما يبرز النص أهمية البحث عن الحقيقة والاستجابة الروحية العميقة تجاه الرسائل الدينية.

ولم يكن العرب بأقل من غيرهم انتظارًا لمجيء النبي ﷺ إلى هذا العالم، وقد كان فيهم رفقاء ورقة بن نوفل في طلب الحق، مثل زيد بن عمرو بن نفيل[1]، قال السمرقندي عنه: "وقد كان أسلم قبل خروج النبي ﷺ حين لم يكن بمكة مؤمن غيره وتابعه ورقه بن نوفل وعاش ورقة بن نوفل إلى وقت خروج النبي ﷺ حتى أنزل عليه الوحي",[2] وقس بن ساعدة الإيادي،[1] وكان هناك غيرهم كأبي ذر

[1] هو: زيد بن عمرو بن نفيل العدوى أبو سعيد، مات قبل البعثة بخمس سنين وكان يوحد الله تعالى على دين إبراهيم وينكر على قريش ذبحهم لغير الله, تزوج زيد من فاطمة بنت بَعْجَة بن أُميّة بن خُويلد فأنجب منها الصحابي سعيد بن زيد، ثم تزوج أمّ كُرْز بنت عمّار بن مالك بن ربيعة الكنانية، وأنجب منها ابنته عاتكة. ينظر: ابن حجر, **الإصابة في تمييز الصحابة**, ج٢ ص ٥٠٧.

[2] السمرقندي, **بحر العلوم**, ج٢ ص ٢٩٦.

الغفاري،[٢] وعمرو بن عبسة[٣] وسواد بن قارب،[٤] وكان منهم كسواد من له علاقة بقضايا الجن إذ كانت معلومة عندهم، كما قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [سورة الجن: ٦] وسمع منهم ما يدل على إرسال الرسول ﷺ.

إن هذه الأخبار تفسر ما جاء في القرآن الكريم من ذكر هذه البشارات، وأن تعددها يظهر بما لا مجال للشك فيه صحة تفسيره لكثرة ما ورد في الكتاب العزيز وهذا فيه من الإفحام للمجادلين، وإظهار الحق ما يحملهم على الإيمان بنبوته ﷺ وهو مقصد الكتاب الكريم من هداية البشر إلى الحق سبحانه وتعالى.

وهذه الروايات كذلك تُثبّت إيمان الموحدين في كل زمان بصحة تلك الرسالة، وأنها غضة كما أنزلت لم يمسسها من رجس المعاندين ما يدنسها أو يشينها، وأنها كالصخرة تتحطم عليها قرون الناطحين

---

[١] هو: هو قُسُّ بن ساعدة بن حُذَافة بن زُفر بن إياد، وقيل: قُسُّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن ايدعان بن النمر بن وائلة بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد, الخطيب البليغ المشهور، كانت العرب تعظمة في الجاهلية وقد سمع النبي ﷺ حكمتة وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية وأول من توكأ على العصا في الخطبة وأول من قال أما بعد. ينظر: ابن حجر, **الإصابة في تمييز الصحابة**, ج٥ ص ٤١٢. والبغدادي, عبد القادر بن عمر, **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**, ج٢ ص ٩١.

[٢] هو: أبو ذر الغفاري: أصح ما قيل في اسمه جُندَب بن جنادة من بنى غِفَار وأمه رملة بنت الوقيعة الغفارية وهو من أكابر الصحابة، أسلم بعد ثلاثة أو أربعة ثم انصرف إلى بلاد قومه وأقام بها حتى قدم رسول الله ﷺ في المدينة بعد الخندق خرج بعد وفاه أبى بكر إلى الشام ولما ولى عثمان إستقدمة وأسكنة الربذة فمات بها سنة إثنين وثلاثين. ينظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المتوفى: ٤٦٣هـ, **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**, ج١ ص ٢٥٢.

[٣] هو: عمرو بن عبسة السلمى، أبو نجيح، قدم مكة على النبي ﷺ وهو بعاظ, وكان يقول أنا رابع الإسلام، ثم رجع إلى قومه بنى سليم ثم قدم المدينة بعد الخندق وكان يعتزل الأصنام في الجاهلية. ينظر: ابن حجر, **الإصابة في تمييز الصحابة**, ج٤ ص ٥٤٥. وأبو نعيم الأصبهاني, أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المتوفى: ٤٣٠هـ, **معرفة الصحابة لأبي نعيم**, ج٤ ص ١٩٨٢.

[٤] هو: سواد بن قارب الدوس كذا قال بن الكلبى وقال بن أبى حيثمة السدوس، قال أبو حاتم له صحبه، وكان شاعراً ويتكهن في الجاهلية قبل أن يسلم انظر الإصابة. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ج٢ ص ٦٧٤. أبو نعيم, **معرفة الصحابة**, ج٣ ص ١٤٠٤.

بالباطل، الرادين بالزور من القول لهذا الحق الباهر الصامد لهذه الهجمات المخبولة طوال هذا التاريخ.[١]

ونلاحظ أن هذه الروايات، خاصة من أسلم من أصحابها أنهم كانوا ذوي علم وشرف في أهلهم، علاوة على أن سيرهم قد وافقت إيمانهم، وأنهم افتدوا هذا الإيمان وذلك الرسول الداعي إليه بأرواحهم وأولادهم وأرضهم وأموالهم ورأيناهم في تلك المواقف التي تطير فيها الرؤوس، وتزهق فيها المهج والأرواح ثابتي الجنان راسخي الأقدام يدفعون بصدورهم العارية عن هذا الدين، وذلك معلوم في الفتوحات وحروب الرسول ﷺ، وقتال من ارتد عن هذا الدين بعد وفاة الرسول ﷺ.

ومن خلال ما تقدم من بيانٍ للأحداث تاريخية في هذا الباب تتبين الدوافع لرفض الإسلام، والاعتراض عليه؛ وأقرب الأمثلة لليهود والنصارى قصة عبد الله بن سلام، وهرقل قيصر الروم، فالأول بين أن اليهود قوم بهت وغدر وخيانة وأنهم إن علموا بإسلامه بهتوه، وهذا ما صح به الحديث فكان المانع هو الكبر والمعاندة والجحود لهذا الحق، وأما قيصر فكما قال الرسول ﷺ، واتفق أن كان ابو سفيان آنذاك في الشام بعد أن ساق قافلته التجارية إلى هناك. فاستدعاه قيصر إلى بلاطه، وسأله عن الرسول. وفي الجواب عن مختلف الاسئلة التي وجّهت إلى ابي سفيان شهد، برغم انه كان لا يزال عدوا للإسلام لدوداً، بصدق الرسول واستقامته.[٢]

تكلم الإمام السمرقندي عن هذا الموقف من قبل قيصر الروم, فقال: "وذلك أن النبي ﷺ كتب إلى قيصر ملك الروم ، يدعوه إلى الإسلام فقرأ كتابه وقبله ووضعه على عينيه وختمه بخاتمه ، ثم أوثقه على صدره ثم كتب جواب كتابه إنا نشهد أنك نبي ولكنا لا نستطيع أن نترك الدين القديم الذي اصطفى الله عز وجل لعيسى فعجب النبي ﷺ وقال (قد ثبت الله ملكهم إلى يوم القيامة إلى أدنى الأرض منها فيفتح الله عز وجل على المسلمين)".[٣]

---

[١] الدبيسي, محمد بن مصطفى بن عبد السلام, **السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية** ص: ٢٤٤.

[٢] ينظر: الحسيني, السيد سليمان الندوي, **الرسالة المحمدية**, ص: ١٣١. والغزالي, **فقه السيرة**, ص: ٣٥٦.

[٣] السمرقندي, **بحر العلوم**, ج٣ ص ٣. والحادثة أخرجها البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنه أخبره أن رسول الله ﷺ، كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي، وأمره رسول الله ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس، مشى من حمص إلى إيلياء شكرا لما أبلاه الله، فلما جاء قيصر كتاب رسول الله ﷺ، قال حين قرأه: التمسوا لي ها هنا أحدا من قومه، لأسألهم عن

الحديث الذي أورده الإمام السمرقندي عن موقف قيصر الروم من دعوة النبي ﷺ يحمل أبعادًا نفسية هامة يمكن تحليلها في سياق الاستجابة العقلية والعاطفية تجاه الحق، وتحديات الاعتراف والتغيير الديني في السياقات السياسية والدينية, ويمكن أن نتناول هذا الموقف من عدة جوانب نفسية:

أولًا: الاستجابة العقلية للكتاب: عندما قرأ قيصر ملك الروم الكتاب الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل الكتاب ووضعه على عينيه، فهذا يعكس تقديره العظيم للرسالة. من الناحية النفسية، هذا الفعل يمكن أن يُفهم كنوع من الاعتراف الداخلي بالقيمة العميقة التي يحملها الكتاب، حتى وإن كان لا يوافقه في إيمانه. هذا يعني أن قيصر كان يعترف بعظمة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال احترامه للكتاب والرسالة، وهي استجابة عقلية تشير إلى أن الشخص قد يعترف بالحق ولكن قد يجد صعوبة في اتخاذ خطوات عملية تجاه التغيير بسبب العوامل الاجتماعية والدينية المحيطة به.

ثانيًا: العجز النفسي أمام التغيير الديني: عندما قال قيصر في رده "إنا نشهد أنك نبي ولكننا لا نستطيع أن نترك الدين القديم الذي اصطفى الله عز وجل لعيسى"، يعكس هذا التردد النفسي والصراع الداخلي الذي قد يشعر به الفرد عند مواجهة دعوة للتغيير الديني العميق. فقيصر يعترف بنبوة النبي ﷺ، لكنه غير قادر على التخلي عن دينه القديم بسبب الانتماء العاطفي والثقافي القوي الذي تربى عليه, وهذا يظهر في النفس البشرية الصراع بين العقل والوجدان، حيث العقل قد يقبل الحقيقة، لكن الارتباط العاطفي والديني بالثقافة والتاريخ قد يمنع الشخص من الإقدام على التغيير.

ثالثًا: التفاعل مع التحديات السياسية والدينية: في هذا الموقف، يظهر تأثير السلطة والنفوذ السياسي على النفس البشرية. قيصر، باعتباره ملكًا، كان يواجه تحديات من الناحية السياسية في حال قبوله دعوة الإسلام, فقد كان عليه أن يتعامل مع توقعات شعبه، ومع استجابة الكنيسة التي قد ترفض أي محاولة لتغيير العقيدة المسيحية السائدة, ومن الناحية النفسية، قد يظهر التردد في اتخاذ القرارات المصيرية عندما تكون هناك ضغوط اجتماعية ودينية وسياسية تحيط بالفرد.

رسول الله ﷺ». البخاري , **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**, ج٤ ص ٤٥, برقم: ٢٩٤٠, وتتمة الحادثة في الحديث الذي يليه برقم: ٢٩٤١.

رابعًا: الاستجابة النبوية والإيمان بالقدر: من جانب النبي ﷺ، فإن قوله "قد ثبت الله ملكهم إلى يوم القيامة" يظهر قدرة النبي على رؤية الحكمة الإلهية وراء الأحداث وتقدير الأمور من منظور أكبر, وهذا التصرف يعكس حالة من التسليم لله تعالى والإيمان بأن كل شيء في الكون يتم وفق مشيئته, ومن الناحية النفسية، يظهر في هذه الاستجابة سمو الروح وثبات المبدأ، حيث لا يتأثر النبي ﷺ برد الفعل المباشر من قيصر، بل يرى أن ملكه سينتهي في الزمن الذي قدره الله، وبالتالي فإن هذا لا يؤثر في إيمانه برسالته.

إجمالًا، يُظهر هذا الموقف أن النفوس البشرية، رغم قدرتها على الاعتراف بالحق، قد تعترضها الكثير من العقبات النفسية والعاطفية والاجتماعية التي تحول دون اتخاذ قرارات جذرية في حياتها، خاصة في سياقات دينية وسياسية معقدة.

إن فهم الأبعاد النفسية لإرهاصات الوحي يتطلب النظر إلى الوحي كجزء من المنظومة الكونية الإلهية، حيث يكون الله هو المبدأ والمنتهى، وتأخذ النبوة موقعها كحلقة وصل بين الخالق والمخلوق.

إن هذه الأبعاد النفسية تعكس الطبيعة الخاصة للوحي والنبوة في الإسلام، وتشير إلى أن الوحي يتجاوز الإدراكات العادية وينطوي على تجربة روحية عميقة ومتميزة تختص بالأنبياء والمرسلين, كما إنها تساهم في فهمنا لكيفية تأثير العوامل النفسية والروحية على تلقي الوحي وتفسيره.

النتائج:

تشير هذه الأبعاد النفسية لإرهاصات الوحي والنبوة المستخلصة من تفسير السمرقندي إلى تأثيرات عميقة ومتنوعة, وتتراوح هذه التأثيرات بين الاستجابة الروحية العميقة للدعوة النبوية والثبات على الإيمان، والصراع النفسي بين القديم والجديد، والاحترام المتبادل بين الأديان، والاعتراف بالحق والنزاهة، والتأثير العاطفي للنصوص الدينية، والاستعداد للتضحية من أجل الإيمان, فهذه الأبعاد تسلط الضوء على التعقيدات النفسية والاجتماعية التي صاحبت انتشار الرسالة النبوية والتفاعل معها, ويمكن استخلاص العديد من النتائج من خلال ما يأتي:

❖ذكر الإمام السمرقندي العديد من الروايات المتعلقة ببداية نزول الوحي وفتوره والتي تحمل في طياتها أبعاداً نفسيةً وعاطفيةً مهمةً.

❖يُعدُّ البعد النفسي محوراً أساسياً في السياقات العامة لروايات بداية النزول.

❖أظهر البحث تفاعلاً نفسياً عميقاً من خلال الروايات التي أوردناها, فالأشخاص الذين استمعوا للقرآن وتأثروا به، مثل القسيسين والرهبان من الحبشة الذين بكوا وآمنوا عند سماعهم لكلمات النبي محمد ﷺ، يظهرون استجابة روحية عميقة وتأثرًا قويًا بالرسالة الدينية. هذا يعكس كيف يمكن للكلمات المقدسة أن تلمس القلوب وتؤدي إلى تغييرات جذرية في الإيمان.

❖أظهر البحث الصراع النفسي بين القديم والجديد, فبعض الشخصيات مثل هرقل قيصر الروم واجهت صراعًا نفسيًا بين التمسك بالدين القديم والاعتراف بصحة الرسالة الجديدة, وهذا الصراع يعكس التحديات النفسية التي تصاحب التحول الديني، حيث تتداخل العوامل الاجتماعية والثقافية والشخصية.

❖التأثير العاطفي العميق للنصوص القرآنية ورسوخها القوي على المستمعين تظهر كيف يمكن للكلمات المقدسة أن تولد استجابات عاطفية ونفسية عميقة تؤدي إلى التحول الديني والإيمان.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

١. ابن إسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المتوفى: ١٥١هـ, السير والمغازي, دار الفكر، دمشق, الطبعة: الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢. ابن حبان, محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي المتوفى: ٣٥٤هـ, صحيح ابن حبان, المحقق: شعيب الأرناؤوط, مؤسسة الرسالة – بيروت, ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٣. ابن حجر, الإصابة في تمييز الصحابة, تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض, دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى – ١٤١٥هـ.

٤. ابن حجر, فتح الباري في شرح صحيح البخاري, دار الفكر للطباعة والنشر – تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز, ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٥. ابن سعد, أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد المتوفى: ٢٣٠هـ, الطبقات الكبرى, تحقيق: محمد عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

٦. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المتوفى: ٤٦٣هـ, الاستيعاب في معرفة الأصحاب, تحقيق: علي محمد البجاوي, دار الجيل، بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧. ابن قطلوبغا, أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني الجمالي الحنفي المتوفى: ٨٧٩هـ, تاج التراجم, تحقيق: محمد خير رمضان يوسف دار القلم – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢م.

٨. ابن هشام, أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري' المتوفي: ٢١٨ هـ, السيرة النبوية, مكتبة المنار، الأردن, ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٩. ابن هشام, أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري, المتوفي: ٢١٨ هـ, السيرة النبوية، مكتبة المنار، الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٠. أبو الليث السمرقندي, بحر العلوم, تحقيق: د. محمود مطرجي, دار الفكر – بيروت.

١١. أبو شُهبة, محمد بن محمد بن سويلم المتوفى: ١٤٠٣هـ, السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة, دار القلم – دمشق, الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧هـ.

١٢. أبو عبد الله, محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري, المتوفى: ٦٠٦هـ, تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير, دار إحياء التراث العربي – بيروت, الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

١٣. أبو نعيم الأصبهاني, أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المتوفى: ٤٣٠هـ, معرفة الصحابة, تحقيق: عادل بن يوسف العزازي, دار الوطن للنشر، الرياض, الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٤. الأدنه وي, حمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر المتوفى: ق ١١هـ, طبقات المفسرين, المحقق: سليمان بن صالح الخزي, مكتبة العلوم والحكم – السعودية, الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٥. الألباني, أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري المتوفى: ١٤٢٠هـ, ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان, دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية, الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م.

١٦. البخاري, محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي, صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه, تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة, ط١، ١٤٢٢هـ.

١٧. البغدادي, عبد القادر بن عمر المتوفى: ١٠٩٣هـ, خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب, تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي، القاهرة, الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

١٨. البكري، المسالك والممالك, تحقيق: دريان فان واندرية فيري، الدار العربية للكتاب، تونس – بلات.

١٩. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الرياض – بلات.

٢٠. التكريتي, أبو عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسى فَرَج الناصري, محاضرات في علوم القرآن, دار عمار, عمان, الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٢١. حاجي خليفة, مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني, المتوفى: ١٠٦٧هـ, كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون, مكتبة المثنى – بغداد وصورتها عدة دور لبنانية، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار الكتب العلمية, ١٩٤١م.

٢٢. الحسيني, السيد سليمان الندوي المتوفى: ١٣٧٣هـ, الرسالة المحمدية, دار ابن كثير, دمشق, الطبعة: الأولى, ١٤٢٣هـ.

٢٣. د. مهدي رزق الله, السيرة النبوية, ط ١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٢٤. الداوودي, محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي المتوفى: ٩٤٥هـ, طبقات المفسرين, دار الكتب العلمية – بيروت, راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء.

٢٥. الدبيسي, محمد بن مصطفى بن عبد السلام, السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية.

٢٦. الذهبي, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي المتوفى: ٧٤٨هـ, سير أعلام النبلاء, تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط, مؤسسة الرسالة, الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٢٧. الزركلي, خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي المتوفى: ١٣٩٦هـ, الأعلام, دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار – مايو ٢٠٠٢م.

٢٨. الساعاتي, أحمد بن عبد الرحمن البنا, الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني مع بلوغ الأماني في أسرار الفتح الرباني, دار الشهاب، القاهرة، د. ت.

٢٩. الساعاتي, أحمد بن عبد الرحمن البنا, الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني مع بلوغ الأماني في أسرار الفتح الرباني, دار الشهاب، القاهرة، د. ت.

٣٠. الشعراوي, محمد متولي المتوفى: ١٤١٨هـ, الخواطر, مطابع أخبار اليوم.

٣١. الصوياني , أبو عمر، محمد بن حمد الصَّحيحُ من أحاديث السّيرة النبوية, مدار الوطن للنشر, ط١، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م.

٣٢. الطبري, محمد بن جرير الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفى: ٣١٠هـ, جامع البيان في تأويل القرآن, تحقيق: أحمد شاكر, مؤسسة الرسالة, ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٣٣. طرهوني, الشيخ محمد بن رزق بن طرهوني, صحيح السيرة النبوية = السيرة الذهبية, دار ابن تيمية للطباعة والنشر، القاهرة ط١، ١٤١٠هـ.

٣٤. عبد الحي الكتاني, محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المتوفى: ١٣٨٢هـ, فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات, المحقق: إحسان عباس دار الغرب الإسلامي – بيروت, ط٢، ١٩٨٢م.

٣٥. عتر, نور الدين محمد عتر الحلبي, علوم القرآن الكريم, مطبعة الصباح – دمشق, ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٣٦. القادياني, محمد علي اللاهوري, ١٨٧٤–١٩٥١م, حياة محمد ورسالته، ترجمه إلى العربية: منير بعلبكي, ت ١٤٢٠هـ, ترجمه إلى الإنجليزية: محمد يعقوب خان دار العلم للملايين – بيروت, ط١، ١٣٩٠هـ.

٣٧. كحالة, عمر رضا, معجم المؤلفين, مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٨. المباركفوري، ابو المعالي اظهر الهندي ت١٣٥٣هـ، الرحيق المختوم، ط١، شركة دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت – ١٤٢٧هـ

٣٩. محيي الدين الحنفي, عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، المتوفى: ٧٧٥هـ, الجواهر المضية في طبقات الحنفية, مير محمد كتب خانه – كراتشي.

٤٠. مسلم, مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ), صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤١. النووي, أبو زكريا محيى بن شرف المتوفي: ٦٧٦ هـ, شرح صحيح مسلم, دار الفكر، بيروت، د. ت.

٤٢. نويهض, عادل, معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر», قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد, مؤسسة نويهض الثقافية والترجمة والنشر، بيروت – لبنان, الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

٤٣. الهيثمي, أبو بكر نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان المتوفي: ٨٠٧ هـ, مجمع الزوائد ومنبع الفوائد, دار الكتاب، بيروت, ط٢، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

٤٤. وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وإياد بن عبد اللطيف القيسي، ومصطفى بن قحطان الحبيب، وبشير بن جواد القيسي، وعماد بن محمد البغدادي, الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم», مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا, الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م, ج٣ ص ٢٧٦٠.